# السلوك النفعي والانتهازي في الشخصية اليهودية

**دراسة مقارنة**

**بين القرآن الكريم والتوراة**

د. المقداد خليل صالح

كلية الامام الاعظم - كركوك

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تُعدُّ الديانة اليهودية من أقدم الديانات السماوية التوحيدية، وهي في تعاليمها تستند الى التوراة التي تتضمن الأسفار الخمسة، وهي جملة الشرائع والأحكام التي أنزلها الله تعالى على موسى (عليه السلام)، والتي لم يتطرَّق التحريف إليها إلا بعد غياب الأنبياء عن بني إسرائيل، إذ قام بعض رجال الدين اليهود فأضافوا إليها ونزعوا منها على حسب ما تشتهي أهوائهم.

وهذا التحريف ثابتٌ في القرآن الكريم، قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)[1].

إنَّ المتأمل لتاريخ اليهود يمكن له أن يؤشر الى قائمة طويلة من أنواع الفساد والانحراف في الأخلاق والسلوك، ووجدتُ أن هذا السلوك المنحرف بمختلف أشكاله وأنواعه يجمعه مشترك رئيس، وينطلقُ من نزعةٍ واحدة، وهي تلك النزعة النفعية الانتهازية التي جُبِلَ عليها اليهود، وذلك كان السبب وراء اختياري لهذ الموضوع، الذي جعلتهُ تحت عنوان: السلوك النفعي والانتهازي في الشخصية اليهودية في ضوء القرآن الكريم والتوراة.

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة، جاء المبحث الأول تحت عنوان: مفهوم النفعيّة والانتهازية، والمبحث الثاني: صور من السلوك النفعي للشخصية اليهودية، والمبحث الثالث: السلوك الانتهازي للشخصية اليهودية، ولقد قمتُ بعمل مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة بيَّنتُ من خلالها الفوارق السلوكية بين المسلمين واليهود، سائلاً الله تعالى السَداد والتوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة المائدة، من الآية (١٣).

# تمهيـــــد

لم ينفرد اليهود وحدهم بممارسة النفعية والانتهازية كسلوك عام، فإن كثيراً من الأقوام المعاصرين لهم عُرفوا بهذه النزعة، إلاَّ أنها برزت وتمحورت حول الشخصية اليهودية كسِمةٍ مُميِّزة لهم، حتى باتت (كلمة «تاجر» أو كلمة «مرابي» مرادفة لكلمة «يهودي»)[1]، أو رمزاً لكل هذه الأعمال معاً.

وإذا تتبعنا الأسباب الموضوعية التي أدت باليهود الى هذه النزعة، نجد أنها أسباباً ضاربة في القِدَم، (فالعبرانيين القدامى بوصفهم بدواً رحلاً كانوا مرشحين أكثر من غيرهم لأن يقوموا بدور التاجر الذي ينقل البضائع من مجتمع زراعي مستقر الى مجتمع آخر، فقد ورد ذكر اليهود لأول مرة على أنهم بدو رحَّل لا يقومون بالرعي فحسب، وإنما بالتجارة أيضاً)[2].

وهناك عوامل أخرى أدت باليهود الى امتهان التجارة والأعمال المالية، فالقانون الروماني حرّم على الشيوخ وأبنائهم استثمار أموالهم في التجارة مما حدا باليهود الى ملئ هذا الفراغ، كما أن القانون المسيحي حرم تعاطي الربا، على عكس اليهودية التي لم تحرمه، وإن كانت حرمت على اليهودي إقراض بني جلدته بالربا[3].

كما أن الديانة اليهودية ذاتها قد ساهمت في غرس السلوك النفعي في نفوس أتباعها - وهنا نقصد الديانة المحرَّفة - فالديانة اليهودية لا تركز على العالم الآخر، ولا تشجع على الزهد في الدنيا، مما دفع باليهود الى مزاولة التجارة والتعامل بالإقراض الربوي، مما عمَّق الروح النفعية والانتهازية في نفوس اليهود.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،، الدكتور عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م، ٢/ ٣٢٩.

(٢) الأيديولوجية الصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص١٣.

(٣) ينظر: الأيديولوجية الصهيونية، ص١٥.

# المبحث الأول
# مفهوم النفعية والانتهازية

أولاً: تعريف النفعية.

النفعية لغةً:

مشتق من الجذر نَفَعَ. قال صاحب مقاييس اللغة: (نَفَعَ: النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضَّرِّ. وَنَفَعَهُ يَنْفَعُهُ نَفْعًا وَمَنْفَعَةً، وَانْتَفَعَ بِكَذَا)[1].

(والمنفعة: نقيض المضرَّة. قال الله تعالى (وَلَهُمْ فِيها مَنافِعُ)[2])[3].

والنافع من أَسماء اللَّهِ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي يُوَصِّلُ النفْعَ إِلى مَن يَشَاءُ مِنْ خلْقه، إذ هُوَ خالِقُ النفْعِ والضَّرِّ والخيْرِ والشرِّ[4].

النفعية في الوضع الاصطلاحي:

النفعية: مفردها: نَفْعِيّ، وهو من يقوم على الاستفادة، ومنفعيّ: من يحاول أن يجني فائدةً أو يحقِّق مصلحةً من مرافقة الآخرين أو من عملهم. والنفعية: مذهب الذين يطلبون المَنْفعة مجرّدةً، أو من يرون المنفعةَ هدف كلّ عمل. وانتِفاعيّ: مفرد، اسم منسوب إلى انتفاع: قائم على المصلحة والاستفادة. وتأتي بمعنى: أنانيّ، مستفيد، يحاول

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٥/ ٤٦٣، مادة (نفع).

(٢) سورة يس، من الآية (٣٦).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ) تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١٠/ ٦٦٩٠ .

(٤) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٨/ ٣٥٨، مادة (نفع).

أن يجني لصالحه دائمًا. وانتفاعيَّة: مفرد، اسم مؤنَّث منسوب إلى انتفاع، يُقال: سيطرت على الأسواق عقليّة انتفاعيّة قاسية، وهو أيضاً مصدر صناعيّ من انتفاع: مبدأ يقوم على الأنانيّة وحبّ الذات وجعل المصلحة الشخصيّة فوق كلّ اعتبار[1].

والمنفعة في الدِلالة المُعاصرة، هي مذهب أخلاقي اجتماعي لا ديني، يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك، وأن الخير الأسمى هو تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس.

ويعدُّ مذهب المنفعة نظرية في الأخلاق، طَبَعتْ أتباعها بطابع مميز، إذ كان كل همِّهم الاهتمام بالحياة الدنيا والاغتراف من لذاتها، ويمكن تلخيص أفكاره فيما يلي:

١. إن صواب أي عمل من الأعمال، إنما يُحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة السعادة الإنسانية أو في التقليل من شقاء الإنسان، بصرف النظر عن السَداد الأخلاقي لقاعدة ما، أو مطابقتها للوحي أو للسلطة أو للتقليد أو للحس الأخلاقي أو للضمير.

٢. واللذة هي الشيء الوحيد الذي هو خيرٌ في ذاته، والألم هو الشيء الوحيد الذي هو شرٌّ في ذاته، والسعادة تشمل اللذة والتخلص من الألم[2].

أن المنفعة فكرة فلسفية لا تلتزم بالأصول الدينية، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين، وترى أن كلَّ ما يُلزم به الدين، يمكن للقانون بقصاصه والرأي العام بجزاءاته أن يأتي به، ولا شك أن في هذا تجاوزاً يهدم أسس العقيدة ويحول المجتمعات إلى غابة تتصارع فيها المنافع

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ٣/ ٢٢٥٩- ٢٢٦٠، مادة (ن ف ع).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، مج٢، ص٨٠٨.

بلا ضابط أو رابط[1].

إن أصحاب السلوك النفعي دائماً ما يربطون بين صحة السلوك ونتائجه، إذ يعتقدون أن الفعل يكون صالحاً، إذا قاد إلى تحقيق نتائج فيها منفعة على المدى المنظور، ويتناقض هذا الاعتقاد مع المبادئ الإسلامية التي ترى أن السلوك يجب أن يسير مع المبادئ ولا يتقاطع معها، حتى وإن أدى إلى نتائج غير مرضية على المستوى الشخصي.

ثانياً: تعريف الانتهازية.

الانتهازية في اللغة:

مصطلح مشتق من الفعل الثلاثي (نهز)، (النُّونُ وَالْهَاءُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ وَنُهُوضٍ وَتَحْرِيكِ الشَّيْءِ. فَالنَّهْزُ: النُّهُوضُ لِتَنَاوُلِ الشَّيْءِ; وَمِنْهُ انْتِهَازُ الْفُرْصَةِ)[2].

والمُناهَزَةُ: المُبادَرَةُ. يُقَالُ: ناهَزْتُ الصيدَ إذا قَبَضْتُ عَلَيْهِ قبل إِفلاته. وانْتَهَزَها وناهَزَها: تَنَاوَلَهَا مِنْ قُرْب وَبَادَرَهَا وَاغْتَنَمَهَا[3].

وهي بهذا المعنى تُعدُّ خُلُقاً محموداً ومشروعاً، ففي القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء كثيرٌ من النصوص التي تحث على المسارعة والمسابقة لعمل الخير والتنافس فيه والمبادرة بالعمل الصالح، والإنسان العاقل هو الذي يغتنم الفرص ويستثمرها لتحقيق أهداف سامية ومُثل عليا، أو مصالح ذاتية تُكتسب بأساليب مشروعة، فهذا كله عمل مشروع، بل واجب شرعي لا يليق التفريط به.

الانتهازية في الوضع الاصطلاحي:

انتهازيّ: مفرد. اسم منسوب إلى انتهاز: يقال: عمل انتهازيّ، والانتهازي: مَنْ

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٨٠٩ .

(٢) مقاييس اللغة، ٥/ ٣٦٣، مادة (نَهَزَ).

(٣) ينظر: لسان العرب، ٥/ ٤٢١، مادة (نَهَزَ).

يقتنص الفرص ويستغل أيّة وسائل للمنفعة الشَّخصيّة يقال: سياسيّ انتهازيّ. وهو أيضاً: مُستغلّ لأي ظرف أو فائدة ممكنة بطريقة غير أخلاقيّة عادةً [١].

انتهازيَّة: مفرد، اسم مؤنَّث منسوب إلى انتهاز، يقال: أساليب انتهازيّة. وهو أيضاً مصدر صناعيّ من انتهاز: اغتنام الفرص واستغلال جميع الوسائل لتأمين المصالح الشَّخصيَّة، يقال: اتَّهمه بالانتهازيَّة، أي عُرف بها[٢].

والانتهازية بهذا المعنى تعني: تحقيق المصلحة الذاتية على حساب مصالح عُليا أو أهداف سامية، أو يكون ثمنه تقديم قرابين بريئة، أو على حساب كدح الآخرين أو الإضرار بهم، فهذا هو الانتكاس والارتكاس في حمأة الانتهازية الدنيئة [٣].

وتعني أيضاً: وضع الانسان مصلحته قبل مصالح الآخرين عندما تسنح الفرصة المناسبة لذلك، فالانتهازي يتكيف دائماً مع الظروف المتغيرة لتحقيق مصلحة شخصية ضيقة، وكذلك تتبع الانسان أخطاء الآخرين، أو نقاط ضعفهم، للاستفادة منها في مصلحته الشخصية.

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ٣/ ٢٢٩٣، مادة (ن ه ز).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٢٢٩٣ .

(٣) ينظر: الانتهازية داء خطير، د. عبدالرحمن بن محمد القحطاني، مقال في صحيفة الجزيرة الالكترونية، في عددها المرقم (١٢٥١١)، الصادر يوم السبت ١٠ ذو الحجة ١٤٢٧ه- ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦م.

# المبحث الثاني
# صور من السلوك النفعي في الشخصية اليهودية

تمهيـــــد:

بالرغم من أن اليهودية ديانة سماوية توحيدي، إلا أنها لم تعرف التوحيد إلا من خلال أنبيائها، فهم كباقي الأنبياء صفوةٌ أخيار، أثبت لهم الإسلام صفات الرسل كسلامة الفطرة، والصدق في القول، والأمانة في التبليغ، وعلى هذا فالحديث عن أنبياء بني اسرائيل مستقىً من القرآن الكريم، أما إذا أردنا أن نتحدث عن أنبياء بني اسرائيل معتمدين على مصادر أخرى غير القرآن الكريم، وبخاصة المصادر اليهودية، فسنرى سلوكاً غريباً، وأخلاقاً فَضَّةً وغليظة، يسلكُها أتباع هذه الديانة، لا تنسجم والطاعة التي أُمِروا أن يسلكوها مع أنبيائهم، فهم لم يراعوا في أنبيائهم خُلقاً ولا أدباً، ولم يلتزموا في حديثهم أيَّ تقديس أو إجلال، وبانقطاع هؤلاء الأنبياء لم يهتدي بنو إسرائيل الى الإله الحق، فالهدف المرسوم هو الإله الذي تصبو اليه أنفسهم، ومن ذلك نجد أن السلوك النفعي ينسحب على الكثير من أقوال وأفعال أتباع هذه الديانة.

تهتم الديانة اليهودية بالأعمال ولا تُعنى بالإيمان، فهي في جوهرها أسلوب حياة عملية يومية لا عقيدة راسخة في القلوب، ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان، فمن الطبيعي ألاَّ تتكلم عن الآخرة والحساب، ولم يرد فيها شيء عن الخلود، أما الثواب والعقاب فيتم في الحياة الدنيا، ولم تطرأ فكرة البعث في خُلد اليهود[1].

ومن هنا فإننا سندرس في هذا البحث بعض المشاهد والصور للسلوك النفعي في الشخصية اليهودية.

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان- اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨ه، ص١٩٤ .

أولاً: السلوك النفعي من خلال خيانة اليهود للأمانة:

في كثير من المواطن التي تتبعنا فيها سلوك اليهود يظهر أمامنا واضحاً وجلياً ذلك السلوك النفعي، وتلك الروح التي تبحث عن اللذة القريبة والمنفعة الطارئة، حتى وإن تقاطعت هذه المنفعة مع أصل الديانة، وروحها، والهدف منها، ومن ذلك ما رافق خروج بني إسرائيل من مصر.

لقد أراد بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر أن يخفوا أمرهم على المصريين، فتخيّروا يوم عيدٍ من أعيادهم كانوا قد رصدوه وحددوه لخروجهم من مصر خفية، ثم إنهم لكي يُضلُّوا المصريين عنهم، وعدم لفت الأنظار إليهم، طلبوا إلى نسائهم أن يستعيروا من جاراتهن المصريات ما يقدرن على استعارته من الحُلىّ، على ما جرت به العادة من التزين في الأعياد[1].

ثم حين خرج بهم موسى (عليه السلام) من مصر، وجاوز بهم البحر، ونجاهم من فرعون وجنوده بعد أن أغرقهم الله تعالى، ذكر لهم ما كان منهم من سلبِ ما سلبوا من حُليّ المصريين ومتاعهم، وبين لهم أن ذلك خيانة للأمانة، وعدوان على غيرهم، وإغراقٌ في المنفعة، وأنه لا يجوز لهم فعلُ ذلك، وقد نجَّاهم اللّه من البغي، فكيف يكونوا من الباغين! ويتبادلون الأدوار، وقد تحرّج بعضهم من هذا الحليّ المسلوبة لبعض الوقت، ولكنهم ظلّوا متمسكين بها، لا تطاوعهم أنفسهم على أن يفلت من أيديهم، تثقلهم تلك النزعة المادية، ثم إنه لّما تركهم موسى لمناجاة ربّه، تناجوا هم مع شياطينهم، وانتهى الرأي بينهم إلى أن يقيموا لهم معبودا، وجعلوا هذا المعبود عجلاً مصنوعاً من ذهب، يأخذ بريقَهُ بأبصارهم وقلوبهم، وجعلوه مادة لهذا الإله الذي تصوروه، فصوروه

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٥/ ٤٨٢- ٤٨٣ .

وجسّدوه[1]، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في سورة طه: (قالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا وَلكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى فَنَسِيَ) [2].

وهذا الاحتيال على المصريين هو ما حدث فعلاً بنص التوراة، ففي سفر الخروج: (٣٥ وبنو إسرائيل صنعوا حينئذ كما أمر موسى، فاستوهبوا من المصريين آنية فضة، وآنية ذهب، وثياباً: ٣٦ والله أعطى القوم حظاً عند المصريين، فوهبوها لهم وانتسفوا المصريين)[3].

إن الأمر بخيانة الأمانة وسرقة المرأة المصرية جاء أيضاً بالنص الصريح والوارد في سفر الخروج، إذ تقول التوراة لبني إسرائيل بصريح العبارة: (٢١ وأعطى القوم حظاً عند المصريين؛ فاذا مضيتم فلا تمضوا فُرغاً: ٢٢ بل تستوهب المرأة من مساكنتها وجارتها آنية فضة وذهب وثياباً تصيرونه على بنيكم وبناتكم، وتنتصفون من المصريين)[4].

وكذلك شمل هذا الأمر الرجال أيضاً، ففي سفر الخروج تكلَّم على مسامع الشعب، ودعاهم الى أن يطلب الرجل من صاحبه والمرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، فهي رخصة صريحة بخيانة الأمانة: (١ فقال الله لموسى: قد بقي بلاء واحدٌ آتي به على

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي- القاهرة، ٥/ ٤٨٣ .

(٢) سورة طه، الآيات: ٨٦- ٨٨.

(٣) تفسير التوراة بالعربية، تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة ودوافعها، سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي (ت: ٣٣٠هـ) ترجمة وتحقيق: سعيد عطية مطاوع، وأحمد عبد المقصود الجندي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م، سفر الخروج، الاصحاح: (١٢: ٣٥- ٣٦) .

(٤) سفر الخروج، الاصحاح: (٣: ٢١- ٢٢) .

فرعون وعلى المصريين، بعد ذلك يطلقكم من هاهنا، فعند إطلاقه جملة يطردكم من هاهنا: ٢ مُر القوم أن يستوهب الرجل من صاحبه والامرأة من صاحبتها آنية فضة وآنية ذهب)[١].

ويمكن لنا أن نسجل في هذا المقام ملاحظات على سلوك هذه الشخصية، إذ كيف لشعبٍ مضطهدٍ مستعبدٍ، يريد الخروج من أرض الاستعباد الى فضاء الحرية، هارباً بدينه وعقيدته، كيف له أن يفكر بالسرقة أو الخيانة؛ إلاَّ أن يكون شعباً قد أُشرب حب المال والمنفعة الطارئة في قلبه، كما وصفهم الله تعالى بقوله: (وأُشربوا في قلوبهم العجل)[٢]، أي حبُّ العجل، فالمنطق يقول أن المؤمن قد يترك ماله ومتاعه حتى يخفف عن كاهله، ويجدُّ السير مسرعاً الى موطن حريته، فضلاً على أنه يعلم أن ظالمه يتبعه ويجد السير في طلبه.

وإذا أردنا أن نعقد مقارنة بين خروج بني اسرائيل من مصر وبين خروج المسلمون حين خرجوا من مكة مهاجرين الى المدينة المنورة، وكيف أنهم تركوا أموالهم ومتاعهم خلف ضهورهم، فارين بدينهم، مقبلين الى حيث يستطيعون أن يعبدون ربهم ويوحدونه ويقيمون شعائره، الى الحد الذي جعل أحدهم وقد أمسك الكفار به أن يدلهم على موضع ماله الذي أخفاه في مكة، ولقد نزل فيها قرآن يخلد هذه الحادثة، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)[٣].

قال ابن كثير في تفسيره: (نزلت في صهيب بن سنان الرومي، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر، فعل. فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى

(١) سفر الخروج، الاصحاح: (١١: ١- ٢).
(٢) سورة البقرة، من الآية: ٩٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

طرف الحرة. فقالوا: ربح البيع، فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية، ويروى أن رسول (الله صلى الله عليه وسلم) قال له: ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب)[1].

ويمكنا أن نستدل على سرقة اليهود لأموال المصريين التي أمرتهم التوراة بذلك، بما جاء في القرآن الكريم:

(قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا وَلكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ)[2]، فالأوزار هنا هو الحرام الذي احتملوه معهم من حُلّي القبط، قال القشيري في تفسيره لها: (إن الذي حملنا من حلّي القبط صاغ السامري منه العجل، وكذلك الحرام من حطام الدنيا لا يخلو من شؤم أثره، فلقد كانت الغنيمة وأموال المشركين حراماً عليهم، فاستعاروا الحُليّ من القبط، وآل إليهم ما كان في أيديهم من الملك، فكان سبب عبادتهم العجل، كذلك من انهمك في طلب الدنيا من غير وجه حلال يكون على خطر من رقّة دينه)[3].

وقال الماوردي في تفسيره: (وخلَّف هارون في بني إسرائيل، فقال لهم هارون: قد تحمَّلْتُمْ أوزاراً من زينة القوم، يعني أمتعةً وحُلِيَاً، فَتَطهَّرُوا منها فإنها نَجَسٌ)[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١/ ٥٦٤ .

(٢) سورة طه، الآية: ٨٧ .

(٣) لطائف الإشارات= تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ٢/ ٤٧٢ .

(٤) تفسير الماوردي= النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١/ ١٢٠ .

فهذا هارون (عليه السلام) وهو نبيٌ يدعوهم الى التطهُّر من هذه الحُلي والأمتعة، والتَّطهّر لا يكون إلاَّ من النجاسات، ولو لم تكن هذه الحُلي والأمتعة سرقة لما دعاهم الى التطهر منها.

ويمكننا الإشارة هنا الى تناقضٍ وقع فيه محرِّفو التوراة، إذ كيف يمكن أن يدعو الله تعالى موسى (عليه السلام) أن يأمر قومه بسرقة أموالٍ وأمتعة أخذوها على أنها عارية، ثم يأمرهم هارون النبي أن يتخلصوا منها ومن شُؤم أوزارها، ثم يعكفون على عبادتها بعد أنْ صاغ منها السامري عجلاً ذهبياً! فإيُّ هشاشةٍ في سلوك أولئك القوم، وأيُّ نزعة نفعيّة تلك التي تتملكهم.

ثانياً: السلوك النفعي في تفضيل الذِّلة مع الشَبع على العِزّة مع الجوع:

بعد أن أنقذ الله بني إسرائيل وأغرق فرعون وجنوده، وارتحل موسى معهم، هناك أعلنوا سخطهم وتبرمهم من سوء حالهم لقلة صبرهم عن ملذَّات الدنيا، كما جاء في سفر الخروج: (١ ثم ارتحلوا من إيليم، وجاءت جماعة بني إسرائيل الى برية سين – التي بين إيليم وسيناء– في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من بلد مصر: ٢ فتذمر جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية: ٣ وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بأمر الرب في أرض مصر في جلوسنا على قدور اللحم، نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمونا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع)[1].

في هذا النص يتضح بما لا يقبل الشك أن بنو إسرائيل يفضلون الموت وهم يتنعمون بلذة الطعام والشراب على هذا الجوع، فهم لا يحتملون الجوع وإن كان في سبيل دينهم ونصرة نبيهم، والموت هنا ليس على الحقيقة بل المراد به الذلة والمهانة، فهم شعب يحب

(١) سفر الخروج، الاصحاح: (١٦: ١– ٣).

الحياة، أي حياة كانت، كما وصفهم الله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)[1].

وبعد ذلك التذمر رجع موسى الى الله طالباً منه العون تحت ضغط تذمر قومه وعدم صبرهم، وتذكيره بأيام شبعهم وريهم: (٤ فقال الرب ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا)[2].

وفي المساء ينزل الله تعالى عليهم لحماً: (٨ وقال موسى ذلك بأن الرب يعطيكم في المساء لحماً لتأكلوا وفي الصباح خبزاً لتشبعوا)[3].

إن تاريخ اليهود المكبَّل بالاضطهاد والإذلال والجشع وشهوة المال والربا والنفعية، أورثهم نفسية غريبة وخصائص فريدة لا توجد في أمة أخرى على الإطلاق، منها الخنوع عند الضعف، والبطش عند القدرة، وسوء السيرة عند الغلبة، والختل، والنفاق في عامة الأحوال، والقسوة، والأثرة، والجشع، وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله[4].

ثالثاً: نسبة اليهود سلوكيات نفعية الى بعض الأنبياء:

لقد نسب اليهود إلى إبراهيم (عليه السلام) سلوكيات نفعية لا تليق بمكانة الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى، ومنها: (قيام إبراهيم ومن بعده إسحق بادعاء أن زوجته الحسناء هي أخته حتى يتكسَّب من ورائها)[5].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٩٦ .

(٢) سفر الخروج، الاصحاح (١٦: ٤)

(٣) سفر الخروج، الاصحاح (١٦: ٨)

(٤) ينظر: التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ١٠٨.

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١٠/ ٣٤٧ .

فقد ذكرت التوراة على لسان إبراهيم (عليه السلام) حينما أراد التوجه هو وزوجته سارة إلى مصر: (١١ فلما قرب من الدخول الى مصر قال لسارای زوجته: أنا أعلم أنك امرأة جميلة المنظر: ١٢ أخاف إن رأوك المصريون وقالوا هذه زوجته قتلوني واستبقوك: ١٣ قولي عني أنت أختي لكي يُحسنَ إلي بسببك بأن تحيا نفسي بجريرتك)[١].

وأَضافت التوراة: أن هذا ما حدث فعلاً: (١٤ ولما دخل إبرام الى مصر فرأوا المصريون المرأة أنها حسنة جداً: ١٥ ورأوها رؤساء فرعون ومدحوها إليه فأُخِذت المرأة الى قصر فرعون: ١٦ وأحسن لإبرام بسببها؛ فصار له غنم وبقر وعبيد وإماء وإتان وجِمال)[٢].

وهنا يطالعنا موقفٌ ليس غريباً على من يعرف الشخصية اليهودية المتمحورة حول النفعية والمادية، واستعباد المال لها، فاليهودي الذي يقرأ هذا الكلام في التوراة وكيف أن جده إبراهيم (عليه السلام) وأبرز أنبياء الل تعالى باع زوجته بمحض إرادته، وتاجر بعِرضِه من أجل أن يكون له غنمٌ وبقر وحمير وجِمال وإماء، كيف لهذا اليهودي أن يقتنع بذلك، وينزلق الى هذا المستوى الضحل من الاعتقاد، لولا أن تكون النزعة النفعية متأصلة في نفسه وسلوكه.

وبالمقارنة مع الرؤية الإسلامية الناصعة المنزهة لأنبياء الله تعالى عن كل ما لا يليق بحقهم، فقد ذكر لنا رسول (الله صلى الله عليه وسلم) هذه الحادثة، كما في صحيح البخاري: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (لم يكذب إبراهيم (عليه السلام) إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله (إني سقيم)[٣]، وقوله: (بل فعله

(١) سفر التكوين، الاصحاح (١٢: ١١- ١٣)
(٢) سفر التكوين، الاصحاح (١٢: ١٤- ١٦)
(٣) سورة الصافات، من الآية (٨٩).

كبيرهم هذا)[1]، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر) قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء[2].

إذن إبراهيم (عليه السلام) لم يقل عن زوجته سارة أنها أخته لأجل منفعة دنيوية أو تجارة رخيصة لا تليق بمكانته، إنما كان (غرضه تخليصها من يد الظالم، لأن من دِينِ ذلك الملك الذي يتدين به في الأحكام المتعلقة بالسياسة، لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، لأن من دينه أن المرأة إذا اختارت الزوج، فالسلطان أحق بها من زوجها، وأما اللاتي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن إلا إذا رضين)[3].

وشتَّان ما بين مَنْ ينسبُ لأنبياء الله سلوكياتٍ مُشينةٍ، وبين منْ يَعرف حقَّهم ومكانتهم، ويتقي الله في أنبيائه وأصفيائه.

---

(١) سورة الأنبياء، من الآية (٦٣).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٤/ ١٤٠، برقم (٣٣٥٨) .

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١/ ٥٦ .

رابعاً: السلوك النفعي في تعامل اليهود بالربا:

أن نظرة اليهود للمال ومصادر كسبه ليست نظرة أخلاقية أو مبدئية، فهم مولعون بالمال ولا يتحرجون من مصادر كسبه أياً كانت، فهو مبتغاهم الأول، وهم نفعيون، أنانيون، يهدمون مبادئهم من أجله، ويدوسون على المصالح العامة في سبيل منافعهم الشخصية، فهم يسلكون في سبيل نفعيتهم كل طريقٍ ملتوٍ منحرف في سبيل الحصول على المال والمنافع[1].

فمن الشواهد الدالة على هذه الشخصية النفعية، ما نشاهده في التوراة التي تُتيح لليهودي استغلال المحتاج وإقراضه قرضاً ربوياً، فقد استحلوا الربا، وقد نهاهم الله عنه، وقد بلغ من جرأتهم على الله أنْ حرفوا التوراة، وأقاموا نصوصها على الوجه الذي يرضون، فجعلوا الربا محرماً إذا كان بين يهودي ويهودي، ومباحاً إذا كان بين يهودي وأممي، أي غير يهودي، وفي هذا تقول التوراة: (٢٠ ولا تُعاين أخاك عينة فضة ولا طعم وكل أمر يُعاين: ٢١ بل الغريب تعاينه، وأخوك لا تعاينه؛ لكي يبارك لك الله ربك في جميع ممدود يدك في البلد الذي أنت داخل إليه لتحوزه)[2].

فهم يسوغون أكل الربا إذا كان التعامل مع غير اليهودي أو الأممي، ويمنعونه ويحرمونه فيما بينهم، وهذا يدل على نضرة انتقائية في الأحكام، فالحلال والحرام عند اليهود يُعرَض على ميزان المنفعة لا على ميزان الدين والأخلاق.

لقد تطورت هذه الفكرة عندهم جيلاً بعد جيل، الى أن أصبح الربا فيما بعد ضرورة للنمو الاقتصادي والعمراني، وأن النظام الربوي هو النظام الطبيعي للحياة، وبُثَّ هذا

(١) ينظر: جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، محمد ندا، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م، ص٢١٥.

(٢) سفر التثنية، الاصحاح (٢٣: ٢٠- ٢١)

التصور الخادع في مناهل الثقافة العامة، ومنابع المعرفة الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها[1].

إن إقبال اليهود على عالم المال والأعمال وابتعادهم عن الزهد، وانغماسهم في المنافع، منبثق من نظرتهم الى فكرة العالم الآخر، التي حولتهم بدورها الى مجموعة متخصصة في التجارة والربا، وتغليبهم للمصالح على حساب الدِين عند تضارب الدين مع المصالح الشخصية، وعدم استعدادهم للمخاطرة بمصالحهم أياً كانت الأسباب والظروف.

خامساً: السلوك النفعي في تصور اليهود لأرض الميعاد:

المتأمل للتوراة يجد أن الأرض التي وُعِد فيها اليهود، أرض واعدةٌ بالخيرات المادية، ومُشاهَدة بالجوارح الحسية، كما تشتهيه وتريده النزعة النفسية اليهودي،: فقد ورد في سفر التثنية: (٧ فإن ربك مدخلك الى بلدٍ جيد؛ بلد أودية ماءٍ وعيون وغمر؛ تفجر في بقاعه وجباله: ٨ بلد حنطة وشعير وجفن وتين ورمان، بلد زيتون زيت وعسل: ٩ بلد لا تأكل فيه طعامك بتقدير، ولا يعوزك فيه شيء، بلد من حجارته الحديد ومن جباله تقطع النحاس)[2].

هذه النص من التوراة يُثبت أن الحياة الدينية بالنسبة لليهودي تبقى مشروطة بتوافر الخيرات المادية، وهذا هو مفهوم الإدراك بالنسبة للعقل اليهودي، فاليهودي لم يكن في يوم من الأيام قديساً، أو متقشفاً، أو زاهداً، ولا يصطبر على الجوع أو العطش، لأنه مقبلٌ على الحياة وطيباتها بكل ما أوتي من قوة.

إذن الأرض في العقل الجمعي اليهودي هي الحياة الدنيا، وفي نفس الوقت هي عمل

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ه، ١/ ٣٢٣ .

(٢) سفر التثنية، الإصحاح: (٨: ٧- ٩).

الآخرة، وهي أرض الرب، ومغفـرة الذنب، هكذا حـوَّل التحريف ديانـة موسى (عليه السلام) الإلهية السماوية، الى ديانة أرضية طينية نفعية بحتة[1].

وكذلك نجد النزعة النفعية المادية في التلمود، الذي كتبه أحبار اليهود ليجعلوه دستور الحياة اليومية، حيث السلوك النفعي أكثر ووضوحاً وأجلى صورة، ومن ذلك: (الذهب والفضة يمكنان القدم من الثبات)، (الثروة والقوة يفرحان القلب)، (سبع صفات تلائم الأخيار ومنها الثروة)، (حين يقوم الانسان بالصلاة عليه أن يتوجه في صلاته لصاحب الثروة والممتلكات)، هذه النصوص التلمودية هي مَنْ دفعتْ اليهودي بقوة الى التشبث بالماديات، وهي التي شكلت حافزاً لإعلاء القيم المادية، وانتصارها على القيم الروحية، وتقود الشخص ببطئ الى تفضيل ذاته وما يتصل بها من قيم نفعية على كل ما سواه[2].

سادساً: السلوك النفعي في استبقاء اليهود للحياة والخوف من الموت:

أمر موسى قومه بمجاهدة عدوهم، وأبان لهم أن الله ناصرهم ما نصروه، ونهاهم عن التقاعد عنه، فقال: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ)[3]، دعاهم موسى الى قطاف هذه الثمرة اليانعة، التي أصبحت في متناول اليد، وهي الأرض المقدسة، ولكن غلب عليهم سوء الظن، فظنوا أن وراء الأمر خطبٌ ما، لذلك حذرهم من الارتداد؛ لأن الارتداد من أهم أسباب الخذلان.

فأجابوا موسى بما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ

(١) ينظر: حُمّى سنة ٢٠٠٠ نظرات في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين، عبد العزيز مصطفى كامل، مؤسسة دار السليم للنشر، ط٢، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م، ص٣١.

(٢) ينظر: الآخر في الفكر اليهودي، نازك عبد الفتاح، وآخرون، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٦م، ٢/ ١٦٣ .

(٣) سورة المائدة، من الآية (٢١) .

وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)[1].

قال بنو إسرائيل: هلعًا وخوفاً على حياتهم: يا موسى إن فيها قوماً شديدي البطش، لا نستطيع مقاومتهم، ولا قدرة لنا على قتالهم، وهم الكنعانيون ومن جاورهم، فَلن نَدْخُلَها حتى يخرجوا منها بِأنفسهم، فإن خرجوا منها، فإنا ندخلها دون حرب وقتال، وهذا مطلب عجيب؛ إذ كيف يخرج أهل البلد الأقوياءُ الجبارون من بلدهم طواعيةً؛ ليدخلها هؤُلاء الجبناءُ فاتحين! [2].

ومما جاء في التوراة في ذلك: (٢ وتذمَّر على موسى وهارون جماعة بني اسرائيل، وقالوا لهم يا ليتنا في بلد مصر، يا ليتنا متنا في هذا البر: ٣ ولم يُدخلنا الله ذلك البلد فنقع بالسيف، ويصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، ألا إنَّ الأصلح لنا الرجوع الى مصر)[3].

ثم بين الله جهلهم وقلة معرفتهم به، قائلا حكاية عنهم: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[4] .

ويمكن أن نؤشر هنا على جراءة ووقاحة هؤلاء، إذ يخذلون نبيهم وهو معهم على أبواب الأرض المقدسة، ويذرونه وحيداً، ولكن اليهود هم اليهود، (وذلك هو دأبهم، يأخذون دون أن يعطوا، ويجنون ما لم يزرعوا، يأكلون ثمرة الزارعين، ويسرقون جهد العاملين، فلا يريدون أن يدخلوا الأرض المقدسة إلا أن يخليها لهم أصحابها، ويهتفوا بهم: أن أقبلوا..) [5].

لقد وعى المسلمون هذا الدرس مما قصَّه الله عليهم من القصص، فحين واجهوا

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢٢) .

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٢/ ١٠٤٦- ١٠٤٧).

(٣) سفر العدد، الإصحاح (١٤: ٢- ٣)

(٤) سورة المائدة، الآية (٢٤) .

(٥) التفسير القرآني للقرآن، ٣/ ١٠٦٩ .

الشدة وهم قلة، أمام نفير قريش في غزوة بدر، قالوا لنبيهم (صلى الله عليه سلم): إذن لا نقول لك يا رسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم، {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[1]، لكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا، فإننا معكما مقاتلون[2].

وكذلك ما روي أن المقداد قال للنبي (صلى الله عليه سلم): (أما والله ما نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نُقْتل حيث شئت)[3].

## المبحث الثالث
## السلوك الانتهازي في الشخصية اليهودية

تمهيـــد:

تُعدُّ الانتهازية أحدى أبرز ملامح وعناصر الشخصية اليهودية، إذ أنها تكشف عن جانب حرص اليهود على استغلال وانتهاز الفرص، واستثمار المواقف والأحداث لتمرير رغباتهم، أو أي مكسب يعود على اليهود بالنفع أو على أحدهم بشكل شخصي.

إنَّ ضمور الروح والعواطف عند اليهود، أدَّتْ بهم التمحور حول الذات، حتى أصبح السلوك الانتهازي والاستغلالي في نضرهم فضيلة تُعفِيهم من المسؤولية الأخلاقية.

إنَّ المادة عند اليهود هي المطلق النهائي، وهم في ذلك يستمدون قوانينهم من الطبيعة التي تتجاوز الأخلاق الإنسانية، ومن هنا تبرز الانتهازية كصفة ملازمة للشخصية اليهودية.

ومن هنا فإننا سندرس السلوك الانتهازي في شخصية السامري، لما فيها من دلالة

---

(١) سورة المائدة، من الآية (٢٤).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، ٢/ ٨٧١.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٤/ ٣١٧.

واضحة وجلية على هذه الصفة الذميمة.

السلوك الانتهازي في شخصية السامري:

الشخصية اليهودية شخصية انتهازية، تقتنص الفرص في الوقت المناسب للانقلاب على المبادئ والقيم والدين، تمثلت هذه الانتهازية في شخصية (السامري)، فخلال غيبة موسى (عليه السلام) عنهم، استطاع هذا الرجل أن يستغل هذه الأمة، وينتهز فرصة غياب موسى (عليه السلام)، فجاء لهم بعجل له خوار وقال لهم: هذا إلهكم إله موسى، نسيه موسى هنا، وذهب لملاقاته في الغيبة الطويلة، ومن غير تفكير طويل، صدَّق القوم الذين في قلوبهم غرس الوثنية، وأعطوا للسامري بعض حُليهم، فألقاها في النار وجعل منها عجلاً ذهبياً راحوا يعبدونه ويعتبرونه ربهم يهوه[1].

ووردت قصة عبادة العجل في مواضع متعددة من القرآن الكريم، وكذلك وردت في التوراة – سفر الخروج، ففي القرآن الكريم: قال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)[2].

وقال تعالى: (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)[3].

يقول ابن كثير في تفسيره: (قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى، من بعد ما فارقهم موسى ماضياً الى ربه لمناجاته، ووفاءً للوعد الذي كان ربه وعده (مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا) وهو ولد البقرة، فعبدوه. ثم بيَّن تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال: (جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) والخوار: صوت البقر، يُخبر جلَّ ذكره عنهم أنهم ضلّوا بما لا

(١) ينظر: قصة الديانات، سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، ط٢، ٢٠٠٣، ص٣٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٤٨).

(٣) سورة طه، الآية (٨٨).

يضل بمثله أهل العقل)[1].

جاء ذُكر القصة في الكتاب المقدس، سفر الخروج، ومما ورد في ذلــك: (١ ولما رأى القوم أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنعْ لنا معبوداً يسير بين أيدينا؛ فإن ذلك الرجل موسى الذي أصعدنا منبلد مصر، لا نعلم ماذا أصابه، ٢ فقال لهم هرون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها: ٣ فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هرون، ٤ فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر: ٥ فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هرون وقال: غداً عيدٌ للرب: ٦ فبكَّروا في الغد وأصعدُوا مُحرقاتٍ وقدَّموا ذبائح سلامةٍ. وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعبِ)[2].

ولغرض عرض القصة لنهايتها، فقد ورد في نفس السفر: (١٥ فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده: لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا وهنا مكتوبين: ١٦ واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشةٌ على اللوحين: ١٧ وسمع يشوع صوت الشعبِ في هتافه فقال لموسى: صوت قتال في المحلة: ١٨ فقال: ليس صوت صياح النصرةِ ولا صوت صياح الكَسْرَةِ، بل صوت غناء أنا سامعٌ: ١٩ وكان عندما اقترب الى المحلةِ أنّهُ أبصر العجل والرقصَ، فحمي غضب موسى، وطرح اللوحينِ من يديه وكسرهما في أسفل الجبل: ٢٠ ثمَّ أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنارِ، وطحنه حتى صار ناعماً، وذرَّاه على وجه الماء، وسقى بني اسرائيل)[3].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ١٣/ ١١٧.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح: (٣٢: ١- ٦).

(٣) سفر الخروج، الإصحاح: (٣٢: ١٥- ٢٠).

فما الذي حمل السامري على هذا التفكير، واختياره مسألة العجل هذه؟ وهو الذي رأى الآيات والمعجزات التي خوطب بها فرعون، ثم رحل مع موسى (عليه السلام)، وشاهد انفلاق البحر، وشهد غرق عدوهم الأكبر فرعون، ورأى تَفجر الحجر بالماء وشهد رفع الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة، ثم بعد كل ذلك يقرر أن يكذب على قومه وينتظر منهم أن يصدقوا كذبه.

ويمكن الإجابة على هذا السؤال، أنَّ السامري ربما ظنَّ أن موسى لن يرجع من ميقات ربه، وحتى إنْ عاد موسى فربما كان يتوقع أن ينتصر له قومه الماديون النفعيون، أو كان ذلك نابعًا من رغبته في تنصيب نفسه كقائد جديد لبني إسرائيل بعد موسى، ولهذا فإن عليه استغلال هذا الفراغ وانتهاز الفرصة لشغل ذلك المنصب الشاغر، خاصةً إنه يعلم جيدًا أنهم قومٌ ماديون، لا يؤمنون إلا بما يرون ويلمسون، ولطالما سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرةً، قال تعالى: (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)[1]، إنهم يريدون معبوداً وِفق تصوراتهم الضيقة وحواسهم القاصرة، فلا ضير من أن يقدم لهم السَامري هذا الإله، بهذه الطريقة المحسوسة التي تُلامس شِغافَ قلوبهم، وهو يثق أن حماقتهم وضيق أفقهم ستجعلهم ينسون كل ما علمهم إياه موسى (عليه السلام)، وسيتجاهلون كل ما سينصحهم به هارون، وسيغضون الطرف عن كل ما شهدوه من الآيات البينات والمعجزات الباهرات، وسيسارعون إلى تصديقه هو فقط، تصديق من قدم لهم ما يطلبون، وأسمعهم ما يريدون أن يسمعون، وأراهم بعيونهم ما يرغبون في رؤيته، فالسامري هو النموذج الحقيقي للشخصية اليهودية ذات النُزُوع الأزلي للسلوك الانتهازي واستغلال الآخرين.

---

(١) سورة النساء، من الآية (١٥٣).

# الخاتمة

بعد أن منَّ الله علي بإتمام هذا البحث الذي تناولتُ فيه جانباً من جوانب الشخصية اليهودية، وهو سلوكها النفعي والانتهازي الذي تميَّزت به وعُرفتْ من خلاله، مستنيراً بما جاء به القرآن الكريم، وقابلته بما ورد من روايات في التوراة، وفي نهاية هذا البحث أُسجل جملة من النتائج المستوحاة من ثنايا هذه الدراسة، وهي كما يأتي:

١. إن اليهود أصحاب سلوكٍ نفعي على مدى تاريخه الطويل، فهم دائماً يربطون بين صحة السلوك ونتائجه، إذ يعتقدون أن الفعل يكون صالحاً وأخلاقيًا، إذا قاد إلى تحقيق نتائج فيها منفعة على المدى المنظور.

٢. الشخصية اليهودية شخصية متناقضة، وغير متصالحة مع المنطق، فقد قام اليهود بسرقة أموالٍ المصريين، ثم أرادوا أن يتخلصوا منها ومن شُؤم أوزارها، ثم عكفوا على عبادتها بعد أنْ صارت عجلاً مسبوكاً! وهذا التناقض نتيجةً حتمية لسلوكهم النفعيّ.

٣. تسويغهم أكل الربا والتعامل به إذا كان مع غير اليهودي أو الأممي، وتحريمه فيما بينهم، وهذا دليل على نضرة اليهود الانتقائية في الأحكام، فالحلال والحرام عند اليهود يُعرَض على ميزان المنفعة لا على ميزان الدين والأخلاق.

٤. الحياة الدينية بالنسبة للشخصية اليهودية تبقى مشروطة بتوافر الخيرات المادية، وهذا هو مفهوم الإدراك بالنسبة للعقل اليهودي، فاليهود لا يؤمنون بالزهد في الحياة؛ لأنهم مقبلون على الحياة وملذاتها، بكل ما أوتوا من قوة.

٥. إنَّ الانتهازية من أبرز ملامح الشخصية اليهودية، إذ أنها تكشف عن حرص اليهود على انتهاز الفرص، واستثمار المواقف لتحقيق مكاسب تعود على اليهود بالنفع، فاليهود يتكيفون مع الظروف المتغيرة لتحقيق مصالح شخصية ضيقة، وهي صفة ملازمة لليهودية، وشخصية السامري أنموذجاً حقيقياً للشخصية اليهودية الانتهازية.

# المصـادر

القــرآن الكــريـم.

١. الآخر في الفكر اليهودي، نازك عبد الفتاح، وآخرون، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٦م .

٢. الانتهازية داء خطير، د. عبدالرحمن بن محمد القحطاني، مقال في صحيفة الجزيرة الالكترونية، في عددها المرقم (١٢٥١١)، الصادر يوم السبت ١٠ ذو الحجة ١٤٢٧ه- ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦م.

٣. الأيديولوجية الصهيونية، د. عبدالوهاب محمد المسيري، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.

٤. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ .

٥. التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .

٦. تفسير التوراة بالعربية، تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة ودوافعها، سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي (ت: ٣٣٠ه) المترجم والمحقق: سعيد عطية مطاوع، وأحمد عبد المقصود الجندي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.

٧. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١٤٢٠،٢هـ- ١٩٩٩م.

٩. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٠ه- ١٩٧٠م .

١٠. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

١٢. جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، محمد ندا، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م .

١٣. حُمَّى سنة ٢٠٠٠ نظرات في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين، عبد العزيز مصطفى كامل، مؤسسة دار السليم للنشر، ط٢، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م.

١٤. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه .

١٧. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ه.

١٨. قصة الديانات، سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

٢٠. لطائف الإشارات= تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ١٩٨٣م.

٢١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤ه) عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٢. مقارنة الأديان - اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨ه.

٢٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه - ١٩٧٩م.

٢٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤٢٠ه.

٢٥. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الدكتور عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.